تركستان

(الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً)

بين الدب الروسي والتنين الصيني



دار الدعوة

تُركستان

(الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً)

بين الدب الروسي والتنين الصيني

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ-١٩٩٣م

رقم الإيداع ١٠٥٠٥/ ٩٢
الترقيم الدولى 8 - 036 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش منشا - محرم بك - اسكندرية
ت: ٤٩٠٧٩٩٨-٤٩٠١٩١٤



قسم البحوث والدراسات

(دار الدعوة)



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لهُ الملكُ ولهُ الحمد وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله أرسله الله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد؛

فإن المحن والأحداث تتتابع على أمة الإسلام في شتى بقاعها وديارها، وتنوء عليها بكلكلها، وتكاد تكتم أنفاس الحياة فيها...!

ذلك أنها في الشطر الأكبر من كيانها البشري قد غفلت عن الله تعالى، ونسيت..!

واستغرقتها الدُّنيا بزخرفها وزينتها ومتاعها، فنكصت على عقبيها

أشـواطاً طويلة في التـقهـقـر والتـخلف، حتى أضـحت ألعـوبة- أو غنيمة- في أيدي الجبارين؛ وحق عليها قول الباري عز وجل: ﴿**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾، كـمـا سلط عليـهم بذنوبهم من لايخـافـه ولا يرحمهم.

لكن الأمل بالـله العلي القـدير لا ينقطع ، والرجـاء عـنده لا يرتد مذمـوماً مدحـوراً، طالما أن شطيرة من أهل الحق تحـمل لواءه، وترفع رايته، وتسـتمسك بالعروة الوثقى لاانـفصام لها، تدعـو إلى الله تعالى على بصيرة، وتجاهد في سبـيله، لا يضرُّها من خالفها، فـ﴿**الله غالب على أمره**﴾.

* * *

عزيزي القاريء المسلم:

قدمنا إليك بالأمس باكورة عملنا عن الجمـهورية الإسلامية الوليدة في «البـوسنة والـهـرسك»، تبْصـرةً وذكـرى، والتي يعلـم الله تعـالى وحده- مآل شعبها ومصيره إلى أين؟.

ولقد عاهدنا الله تعـالى في «دار الدعوة» أن نمضي على الطريق،

لا تلتبس علينا السبل، ولا تزيغ بنا الأهواء، كلمة الحق رائدنا، وخير الإسلام والمسلمين قائدنا ، سائلين المولى عز شأنه أن يلهمنا الصواب والسداد.

وهانحن اليوم نقدم لك كتابنا الثاني (تركستان بين الدب الروسي والتنين الصيني) إنطلاقاً من بؤرة ساخنه تموج بالفتنة بين «أذربيجان» و«أرمينيا» حول إقليم «ناغورنو كاراباخ» وهي صورة من صور النزاع المصطنع، تكيد له وتدبر فصوله أيدي الضلالة التي لا تريد للإسلام عزاً ولا بقاء ولا للمسلمين مجداً ولا استمراراً.

إذ ليست «آذربيجان» وحدها هي المستهدفة!!!، فماهي إلا جزء من «تركستان» شرقيها وغربيها، الممزقة بين دولتي «الاتحاد السوفيتي»- سابقاً- والصين الشيوعية؛ والتي يربو فيها عدد المسلمين على عشرات الملايين..

حتى «التركستان» لم تكن أيضاً إلا جزءاً من دولة الإسلام وأمة الإسلام على امتداد قرون وأجيال، رفدت الوجود الإسلامي بصدق العطاء وخالص الوفاء؛ فأين نحن منها؟ وأين هي منا؟

ذلك مدار بحثنا– إن شاء الله–، فنرجو أن نقدم الصورة الوافية بأمانة وتوفيق، راجين حس الثواب والقبول، والله يتولى الصالحين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

توطئـــــة

«ناغورنو كاراباخ»!!

اسم يتردد في وسـائل الإعلام المقروءة والمسموعـة والمرئية، من خلال الصراع الدائر بين جمهـوريتي «آذربيجان» و«أرمنيا»- اللتين كانتـا إلى أمد قريب ضـمن المنظومة السـياسيـة للاتحاد السوفياتي- سابقاً-.

هذا الإقليم والصراع عليه، واقع في جمهورية «آذربيجان» لكن أكثرية سكانه حسب التوزيع الديمو غرافى للسكان، من الأرمن[1] من هنا كانـت المطالبة بضمـها إلى الجمهورية الأم أرمنيا..هذا فى الظاهر، لكن المشكلة أبعد جذوراً فى التاريخ وأعمق .

فمـا حكاية هذه الجمهوريـات الإسلاميـة التى أستـقلت حديثاً ومنها(آذربيـجان) بعد أن أنفـرط عقد الاتحـاد السوفياتى وتناثرت حباته؟.

---

(١) هذه الأقلية الأرمنيـة في (آذربيجان) - اقليم «ناغورنو كاراباخ»- زرعت عن عمد هناك في العهد (الستاليني) بعد أن تم تهجير أهلها من المسلمين.
وهذه الطريقة اتبعت في أكثر من موقع ومكان بقصد التفتيت والتشتيت.

هذا ما نحاول الإجابة عليه– بإذن الله – من خلال هذا الكتاب (الدراسة)، ضمن سلسلة إلقاء الاضواء على بؤر الصراع فى العالم الإسلامى، والتى تستهدف من خلالها أمة الإسلام، أو بقاياها . . . ،

لعل فى ضمائر الحكام والشعوب بقية حياء من الله تعالى، وأمل فى استعادة الموقع الإنسانى والبشرى الذى قدره الله تعالى لها ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ .

***

تركستان

جاء في تعريفها:

هى تلك البلاد الجميلة الخضراء، التى تشقها الأنهار الكثيرة، وتكتنفها الهضاب والنجاد، وبها آثار أول مدنيةٍ وأقدم حضارة تشهد للأوائل من أهلها بالنبوغ والعراقة.

بدأت نشأتهم على أرضها، فتكونت وحدتهم وقامت دولتهم وانبعثت نهضتهم واستقامت حضارتهم، وسجلت في أزهى صفحات التاريخ مدنيتهم. ثم تعاقبت الدهور...

وهي شاهدة لهم بالسلطان والسيادة، مقرة لهم بالأصالة في السياسة والقيادة، فإذا شاءت الأقدار للعشيرة الحاكمة أن يجرى عليها حكم التغيير، نجمت في أعراقهم عشيرة أخرى لتعيد ذلك المجد، وتكمل الطريق .

ظهر في ملوكهم و«خواقينهم» أسماء لامعة، وأبطال جبابرة، استطاعوا أن يبسطوا ظل عظمتهم على القارات النائية وأطراف

الأرض المترامية.

وقد أثبت الباحثون في علماء الآثار والتاريخ أن «تركستان» أول بلاد اكتشفت فيها زراعة الحبوب، تُؤُلف فيها الحيوان، وكان سكانها يعرفون الزراعة قبل التاريخ، وهم الذين اقتادوا الخيول والأغنام والمواشي وغيرها أول مرة تحت إدارة الإنسان.

* * *

وفي الوثائق التي تدل على أنَّ «تركستان» كانت مهد حضارات البشرية، واكتشفته بعثة الحفائر والتنقيب الأمريكية سنة ١٩٤١م؛ فقد عثرت البعثة المذكورة على مجموعة من الآثار شرقي بحر «قزوين» قريباً من مدينة «عشق أباد»و تدل على أن «تركستان» لعبت دوراً هاماً في حضارة الإنسانية، سبقت به سائر سكان البسيطة.

وقد شهد رئيس البعثة المذكورة- العالم الأثري الأمريكي- [بومبلي: pumpelly] بأن مدنية العصر الحجري (الجديد) قامت وعاشت في «تركستان» قبل تسعة آلاف سنة من الميلاد؛ كما أن تربية الحيوان وجدت بها قبل ثمانية آلاف سنة من الميلاد.

والصناعات المعدنية قبل ستة آلاف سنة.

وقد عثر في القسم الشمالي من «تركستان» على آثار في بعض مدافن قدماء «التركستانيين»، وفي القلاع تشهد بأن «تركستان» مثلت أقدم دور في المدنية.

وقد كتب بعض علماء أوربا بإعجاب عن المجموعة الأثرية التاريخية الموجودة الآن في متحف «لندن» والآثار التى اكتشفتها وحملتها بعثة ألمانية (تورفان :Turfan) خلال رحلاتها الأربعة : ١٩٠٢، ١٩٠٤، ١٩٠٧، ١٩١٤. وأودعت في متحف «برلين» وتشغل جناحاً خاصاً فيه ؛

هذه الآثار وغيرها –في متاحف: «موسكو» و «ليننغراد» و«كومسك» و«وكير سينارسك» تشهد لهؤلاء الأفذاذ بطول الباع في الفنون الجميلة والصناعات الدقيقة، والمهارة .

التقسيم السياسي:

هذه البلاد الشاسعة الأطراف، الضاربة في أعماق التاريخ، وجوداً ومدنية، تمتعت بالاستقلال التام والحرية الكاملة، في جميع

أدوار التاريخ- قبل الإسلام وبعده، ولم تتغير وحدتها السياسية وتفقد استقلاليتها، إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما وقع بعضها في أيدي «الصين» والقسم الآخر في أيدي «الروس».

أما القسم الذي استولت عليه الصين فيعرف بـ«تركستان الشرقية»، وتبلغ مساحته:

(١,٥٠١,٠١٣)- كلم٢، ويزيد عدد سكانه عن خمسة وعشرين مليون نسمة.

والقسم الثاني الذي استولت عليه روسيا فيعرف بـ«تركستان الغربية»، وتبلغ مساحته: (٤,١٠٦,٠٠) كلم٢، قطعته إلى ست جمهوريات بغرض تفريق القبائل، هي:

١- جمهورية «أوزباكستان» و«تركمانستان» و«طاجكيستان» و«قازاغستان» و«قيرغستان» و«قاراقالباغستان»- وألغت الأخير فيما بعد. بالإضافة إلى «آذربيجان» ويقدر عدد سكانها برقم يتراوح بين الخمسين والستين مليوناً (٥٠- ٦٠).

جاء في مجلة (أرامكو)- في عدد خاص، بتاريخ (يناير، فبراير) ١٩٩٠م:

[ست جمهوريات من الخمس عشرة جمهورية التي تكون منها الاتحاد السوفياتي هي جمهوريات إسلامية، فيها أكبر جمهورية بعد «روسيا»؛ المسلمون (٥٣) مليوناً، أي خمس مجموع الاتحاد السوفياتي، وهم يشكلون أكبر كتلة بعد الروس، ويسكنون هلالاً يمتد من أوربا إلى الصين، جنوب الاتحاد السوفياتي.

«تركستان»- أي الغربية- نصف أوربا، من بحر «قزوين» في الغرب إلى الصين في الشرق، من الجنوب «أفغانستان» و«إيران» ومن الشمال «روسيا» خمس جمهوريات في وسط آسيا، وهم أحفاد المغول الذين حكموا أواسط آسيا وأقاموا المدن التاريخية في بخارى وسمرقند] -إ- هـ.

وتجمع السكان وحدة الدم، ووحدة اللغة، ووحدة الدين، حتى وحدة المذهب،[1]، فالأكثرية الساحقة على مذهب الإمام «أبي حنيفة».

* * *

١- ماعدا «آذربيجان» التي تضم أكثرية شيعية (جعفرية إمامية).

حدودها:

يحدها من الشرق سور الصين، ومن الغرب بحر قزوين ونهر أورال، ومن الشمال سيبريا ومنغوليا ومن الجنوب إيران وأفغانستان والهند والتيبت.

تضاريسها:

اشتهرت «تركستان» بخصوبة أراضيها الزراعية، وجمال مناظرها الطبيعية، وكثرة البحيرات والأنهار-، وعلو الجبال المكسوة بالخضرة، المتوجة بالثلوج .

كما اشتهرت بقصباتها الجميلة، وقلاعها القديمة، ومدنها الباهرة، وقصورها الفاخرة، ومعاهدها، ومساجدها .

وترجع أهمية الجبال فيها إلى سلسلة جبال: «تيان شان» : [تكري طاغ: Tanricao] فهي العمود الفقري لكيان البلاد جميعاً، ومنها تنحدر السيول فتكون الأنهار النقية الأربعة: «جيحون» و«سيحون» (تركستان الغربية) و«إيلي» و«تاريم» (تركستان الشرقية) .

والمركز العام لهذه السلسلة، أعلى نقطة فيها، وهي قمة «خان

تكري» : Han Tanri.

إذ يبلغ ارتفاعها: ٧٣٥١ متراً.

***

الإسلام و«تركستان»

بعد معركة «نهاوند» التي عرفت في التاريخ بـ«فتح الفتوح»، استولى المسلمون الفاتحون على فارس كلها (إيرن)، سنة (٦٤٢م)؛ وهرب «يزدجرد» آخر الأكاسرة الساسانيين إلى «تركستان»، فتعقبه المسلمون.

وفي عهد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» – رضي الله عنه– استولى المسلمون على «خراسان» التي كان أكثر سكانها أتراكا، واستقروا فيها.

وفي عهد «معاوية بن أبي سفيان»، أضحت «خراسان» قاعدة إسلامية ومنطلقا لنشر الدعوة في «تركستان»، وقد أسكن فيها خمسون ألفاً من مهاجري العرب.

وفي عهد «عبد الملك بن مروان»، أخذ المسلمون العرب،

يعاونهم المسلمون التركستانيون من «خراسان» في نشر الإسلام في ربوع «تركستان» التي أقبل أهلها على الدين الجديد زرافات ووحدانا..

إسلام «الخاقان»

في سنة (٢٣٢هـ) أسلم خاقان «تركستان» (ستوق بوغراخان) بدعوة العالم الكبير «أبي النصر الساماني»، وتبعه في ذلك وزراؤه وقادة جيشه، وأصدر أمراً بجعل دين الإسلام دين الدولة- الرسمي-؛ وحصر اهتمام الدولة في نشر الإسلام في أنحاء «تركستان» كلها.

واقتفى أثره أبناؤه: «الخاقان موسى» و«الخاقان هارون» وحفيده «الخاقان يوسف قادر خان»، والذي أرسل بعثاته التعليمية لنشر الإسلام بين القبائل التركستانية القاطنة في جنوب «سيبريا» و«إيديل الأورال» و«القرم» و«القوقاز».

وأرسل أيضا بعثات التبشير إلى بلاد المغول والصين والتبت لنشر الإسلام بينهم.

ولقد نال «التركستانيون» حُظْوةً كبرى عند الخلفاء العباسيين، فأصبحوا المرجع في أكثر الأمور والشؤون ، حتى أصبح أكثر الوزراء وقادة الجيوش من أبناء «تركستان».

وصفهم الشاعر «ابن مروان الروحي» فقال:

إذا ثبتوا فَسَدّ من حديد نخال عيوننا فيه بحار،

وإن برزوا فنيران تلظى على الأعداء تضرمها استعار

والذي يتتبع نشر الإسلام في «بولندا» و«فنلندا» و«استوانيا» وسائر دول البلطيق، والهند..، وغيرها، يتعرف إلى مبلغ الجهود التي كان يبذلها أولئك المؤمنون الصادقون، الذين جعلوا نشر الدين أول واجباتهم، بل في مقدمة أعمالهم.

***

الأعلام الذين أنجبتهم «تركستان»:

منذ العهد العباسي، إلى وقت غير بعيد منا، كان تيار العلم والمعرفة متدفقا من «بخارى» و «سمرقند» و«خوارزم» و«الشاش» و«كاشغر» و«بلخ»..، حتى القرى المجهولة في «تركستان» قد نَبَغَت

واشتهرت أسماؤها.

وظهر العلماء الأعلام، بل أساطين العلم ورواد المعرفة، أمثال: أمير العلماء في الحديث؛ «أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري» ، والإمامين: «الترمذي» و«النسائي»، وصاحب الكشاف في التفسير، العلامة «جار الله الزمخشري»، وصاحب «المفتاح»: «يوسف السكاكي»، والشيخ «عبد القاهر الجرجاني»، والعلامة «سعد الدين التفتازاني»، والعلامة «السيد الشريف الجرجني»، وكذلك الفقيه الشيخ «شمس الأئمة السرخسي»، صاحب «المبسوط»؛ والشيخ «سعد الدين الطاشغرى»؛ وصاحب «الهداية»: «على بن أبي بكر المرغيناني» والعلامة: «النسفي» وإمام أهل السنة «الماتريدي» والعلامة: «أبو بكر الخوارزمي».

وكذلك المعلم الثاني[1]، الحكيم الكبير«أبو النصر الفارابي» والشيخ الرئيس «ابن سينا» نابغة العلوم.

«وخالد بن عبد الملك» المتخصص الكبير في علم الفلك في عَهْد الخليفة العباسي «المأمون»؛ و«أبو زيد البلخي» أول من كتب

١- المعلم الأول: أرسطو.

الجغرافيا، «وبنو موسى: محمد وأحمد الحسن» أشهر رياضيي العهد العباسي وأوائل المخترعين في المسلمين من علوم الهندسة، الذين حققوا مقدار الدرجة الأرضية وصححوه، وهم الذين اخترعوا علم الجبر والمقابلة وأذاعوا الحساب الهندي بين المسلمين، وابتكروا كذلك زيجا جامعا على أصول الهند واليونان.

وأيضاً: «أبو إسحاق البيروني»[1] و«الجوهري» الذي أهدى إلى الأمة أحسن القواميس اللغوية وأكملها.

ونحن في هذه اللمحة الموجزة لا نعرف بهؤلاء العلماء والأفذاذ، فذلك ليس مجال البحث، إنما نلقي الضوء على خلفيّة طمست معالمها في أذهان الناس نزعات الجهل والتعصب العرقي، ودعاوى الاستعمار ومؤمرات الصليبية الحاقدة.

لقد كان لجهود المسلمين «التركستانيين» في نشر الإسلام أثرها الطيب المحمود في «إيديل أورال» و«القرم»؛ فتكون منهما «روسيا» و«أوكرانيا» وحوض نهر «الفولجا» وأوربا الشرقية امبراطورية «آلتون أوردو» التي أسسها «نورخان» ابن «چنكيز خان» بعد موت أبيه سنة

١- واضع مبادىء علم الجيولوجيا، وواضع دائرة معارف فلكية.

(١٢٢٧م)؛ ثم أخـذ المسلمون فـي هذين البلدين على عـاتقهم نشـر الإسلام فيهما وفي البلدان المجاورة لهما في أوروبا.

* * *

العداء الرُّوسي

أو

الدُّب الروسي

[استمر إخضاع الروس لبلاد المسلمين حرباً متصلة دامت (٣٤٨) سنة، بدأت في عام (١٥٥٢م) باحتلال «قازان»– جوهرة المداين– وتوقفت عام (١٩٠٠م) بالوصول إلى (بامير) على حدود الصين، ثم استؤنفت باحتلال أفغانستان حيث امتدت الحدود الفعليةلروسيا إلى ممر «خيبر»].

كيف؟ لماذا؟

ماكاد الامبراطور يعلن دخوله ودخول دولته في دين الله حتى اغتاظ الروس لذلك غيظاً شديداً، ونشأت في نفوسهم الكراهية، وبدت البغضاء في أفواههم– وما تخفى صدورهم أكبر – فأخذوا يعملون جاهدين للتخلص والانفصال عن امبراطورية «آلتون أوردو» الإسلامية.

ولكن جهودهم باءت بالفشل والخيبة في عهد الامبراطور «بركة خان»، لكنهم عاودوا سعيهم في خفاء، يتحينون الفرص ويتربصون الدوائر يؤلبون الدول الأوربية، ولكن الامبراطورية ظلت تلتزم حيال ذلك أساليب اللين والمهادنة طمعاً في تفهمهم للإسلام عسى أن يدخلوا فيه كشعوب «القرم» ، و«إيديل أورال» و«القوقاز».

ولكن هذه السياسة لم تنجح معهم، بل زادتهم تمرداً وعصياناً وحقداً على الإسلام.

الواقع الروسي آنذاك

من المعروف أن روسيا كانت بلاداً تعيش فيها القبائل المتخلفة، تقوم حياتها على صيد السمك- على السواحل-، وآخرون يقطنون الغابات، وكثيراً مايقضي عليهم البرد والجوع.

وفي ظل امبراطورية «آلتون أوردو» تحسنت أحوالهم، لا سيما بعد أن أدخل عليها المسلمون الكثير من الصناعات، لكن كل ذلك لم يزدهم إلا نفوراً وطغياناً وكفراً، والمكر السيء.

***

اول الغيث

انتهز الروس فرصة انشغال الدولة بالحرب ضد «ألمانيا» و«لتوانيا» فقاموا بشن حملاتٍ متتابعة في مختلف الولايات.

ولم يكن حالهم في «موسكو» أقل عنفاً ووحشية عن مختلف البلدان الروسية، ومع وفاة الامبراطور «بركة خان» ازداد تسلل الروس إلى قلب الامبراطورية، وكذلك انقسمت الامبراطورية إلى ثلاث دويلات هي : خانات «القرم» وخانات «القازان»، وخانات «استراخان»، وكان ذلك عام (١٤٢٨) م.

وأصاب هذه الخانات الثلاث مايصيب الأمم– عادة– عندما تتسع ثروتها، ويعظم سلطانها فيعمد كبراؤها إلى الترف وأسباب النعيم ويتركون ماكانوا عليه من جهاد وجلاد، فذهب ريحهم، وأسرعت إليهم بواعث الدمار والانحلال .

وكانت الظاهرة الأولى فيّ اضمحلالهم أن الدولة «القازانية»، بعد أن كانت تحكم «روسيا» أصبحت تابعة لها، إذ هجم عليها «إيڤان الرابع»– كناز موسكو – المدعو والمعروف بـ«إيڤان الرهيب»

على رأس مائتي ألف جندي وعدد كبير من رجال الدين، والمهندسين المدنيين الألمان المستأجرين بالمال واستقبل مسلمو «القازان» هذا الجيش الكثيف بثلاثين ألف جندي من محافظة قلعة «قازان»، وبضعة آلاف فارس مرابطين في الأقاليم؛ ودام القتال أربعين يوماً، تلف فيه نصف الجيش الروسي المهاجم؛ لكن تمكن المهندسون الألمان من نسف جسور القلعة بالبارود، ثم احتلوها، وبعد بضعة أيام سقطت مدينة «قازان»— ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة (١٥٥٢) م. — عاصمة الدولة الإسلامية—.

وهكذا شاءت الأقدار أن يصبحوا محكومين بعد أن كانوا قادةً سادةً.

ثم تقدم الروس زاحفين نحو الشرق لإخضاع بلدانها ومقاطعاتها لسلطانهم، إذ فتح لهم سقوط «قازان» الطريق التجاري إلى «سيبريا» الخصبة الغنية، كما فتح لهم طريقاً مائياً بواسطة نهر «الفولجا» إلى بحر «الخزر».

ولم تمض سنتان حتى استولوا على دولة إسلامية أخرى هي دولة «استراخان» ومهد لهم طريق آخر إلى بلاد «القوقاز»

و«التركستان».

منذ ذلك الحين بدأ الروس، الذين كانت مساحة بلادهم عام (١٤٣٠م) لا تزيد على (٤٠٠,٠٠) كلم٢، حول «موسكو»؛ يعدّون القوّة لتمكين دولتهم وبسط سلطانهم، وانطلقوا بوحشيتهم البربرية.

وماكان للروس ولا لغيرهم أن تطأ أقدامهم أراضي هذه البلاد الإسلامية، لو لم يكن مسلمو «القازان» و«استراخان» و«القرم» قد دبت إليهم عوامل الشقاق وانعدمت من بينهم عوامل الألفة والوفاق، وتقطعت بينهم الأسباب.

بذلك وجد الروس منفذاً من وراء جبال «الأورال» إلى قلب البلاد الإسلامية كلها، والتي كانت تمتد على مساحة تزيد (١٠,٠٠٠,٠٠٠) كلم٢،!!!

ولم تكن «تركستان» الإسلامية أحسن حظاً من الدول الثلاث التي قامت على انقاض امبراطورية «آلتون أوردو»؛ إذ ظهرت فيها- أيضاً- بوادر الانقسام بعد وفاة خاقانها الأعظم «شاه روخ»- الذي

يصفه الدكتور «عبد الوهاب عزام» سفير مصر في المملكة العربية السعودية بقوله:

[كان «شاه روخ» وإخوته محبين للكتب، يعنون بالإجادة في نسخها وتهذيبها وتمليتها، فهم لا يقلون عن معاصريهم «دوقات برجندي» ولا يقاس بهم عشاق الكتب في إيطاليا- خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر].

فحينما بدأت القوات الروسية تدك الحصون والقلاع في الشمال الغربي لـ«تركستان]، والمعركة الحربية على أشدها، كانت الدولة الإسلامية- التي عاصمتها «سمرقند» مقسمة إلى سبع دويلات- أيضاً-!!!

١- الدولة الأوزبكية، فيما وراء النهر.

٢- دولة بني ياوكارنجوأرزم.

٣- دولة بني بلاتوندي، في الشمال الغربي- تركستان وسيبريا، وتسمى هذه الدولة بـ«خانات سيبريا» أيضاً.

٤- دولة «خانات مانفيث» في غربي ولاية «قازغستان» وتمتد من

بحيرة «بالقاش» إلى نهر «إيديل».

٥- دولة سلاطين «قازاق»، في الشمال الشرقي لـ«قازاغستان».

٦- دولة بني جغتاي، في تركستان الشرقية، وولاية بني سو (في أراضي الصين اليوم).

٧- دولة بني بابورشاه، في جنوب تركستان والهند.

***

هذا التشرذم والتقزم أغرى الروس الحاقدين المغيرين بمتابعة الهجمة الشرسة على ديار الإسلام.

فتقدموا أول الأمر إلى دولة «بني بلاقوندي»- التي كانت تحكم سيبريا والشمال الغربي من تركستان، فاستعد مسلمو «سيبريا» للدفاع عن بلادهم، ووقع القتال بين الفريقين قريباً من نهر «إيرتيش»؛ واحتل الروس هذه البلاد واحدة بعد الأخرى في حروب شرسة عنيفة دامت أعواماً طوالاً.

وكانت «إيسكر» عاصمة «سيبريا» قد سقطت في أيدي الروس عام (١٥٨١م)، واستولى الروس خلالها على كنوز ومجوهرات

وتحف وأموالٍ طائلة– تفوق الإحصاء والوصف كما جاء في المراجع التاريخية.

ويدل على صدق وطنية السلطان «كرجم خان»– رئيس الدولة– وعزة نفسه، وجوابه إلى سفير الروس، رداً على دعوته إلى قبول العيش في ظل الحماية الروسية:

– إني لا أقبل عيش الأسير، ولا موت الذليل، ولا أحزن لفقد أموالي، وإنما الجدير بحزني وألمي هم أولئك التعساء الذين يعيشون تحت نير الطغيان الروسي.

ولم تنقطع الحرب بوفاة السلطان« كرجم خان» سنة (١٦٠٠م)، بل استمرت مشتعلة على يد ابنه السلطان «علي خان» الذي قاتل حتى أسر، ثم انتقلت القيادة لأخيه الذي أبدى من ضروب الشجاعة والبسالة ماسجله له التاريخ.

هذه الاستمرارية، أتعبت الروس فبدأوا ينهزمون في كل المعارك والميادين في الشمال الغربي لـ«تركستان»، وأيقنوا أنه ليس من اليسير التقدم من الشمال الغربي دون استعداد حربي ..، فولوا وجوههم شطر «أوكرانيا»، فهاجموها في (٢٩) يونية .«حزيران» عام

(١٦٥١)م، وانتهوا من احتلالها عام (١٦٥٤م)؛ ثم احتلوا: «كوزاق أورون روغ».

وكان الروس قد أرسلوا فرقتين كبيرتين إحداهما إلى «القوقاز» والأخرى إلى الشمال الغربي من «تركستان»؛ ونشب القتال على أشده بين الغازين الروس من جهة وبين أهل البلاد من المسلمين من جهة ثانية

وفي عام (١٧٣٥)م وطئت أول قدم من جنود الروس المستعمرين أرض الجزء الشمالي من تركستان؛ وفي عام (١٧٧٣م) انتهى الروس من احتلال القرم بعد حروب متواصلة، بدأت عام (١٦٦٧م).

ولم تتوقف المعارك في «القوقاز» إلا في عام (١٨٦٤)م حين وقع القائد «الإمام شامل» في الأسر.

أما بقية التركستان فإن الجنرا ل الروسي «تشرنايف»- جلّاد «طشقند» عام (١٨٦٥م) فيحدثنا بنفسه عما شاهده بأم عينه فيقول:

[إن مدينة «طشقند» كانت مستعدة بأكياس الرمال في شوارعها،

وكانت المقاومة عنيفة جداً، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجمون، جماعات أو منفردين، شوارع المدينة، ولم يستسلموا..، بل ماتوا على أسنة الرماح، ورأى جنودنا «الروس» الذين اجتازوا الشوارع مقاومة عنيفة، وقتالاً شديداً، ولم نبسط أيدينا على مجتمع «أوتاد» إلاّ بعد أن سبح جنودنا في بحار من الدماء!!!].

ولما بسط الانجليز حكمهم على الهند، بعد قضائهم على حكم أحفاد«بابورشاه»، وحاربوا الأفغان عام (١٨٣٩م)، بدأوا يهددون الإمارات الجنوبية في تركستان مماساعد الروس في حملاتهم على تركستان، وهيأ الفرص أمامهم، ومامن شك في أن التواطؤالضمني قائم بين الصليبيين عموماً على الإسلام وأهله، في كل زمان ومكان.

***

ثم التنّين الصيني! ! ![1]

وأراد الصينيون أن يأخذوا بدورهم نصيباً من الغنيمة..، وبدلاً من مساعدة جيرانهم التركستانيين ضد الغزو الأوروبي ..، قاموا بالهجوم على التركستان من الناحية الشرقية المتاخمة لهم، وذلك للمرة الثالثة، بعد أن أخفقوا مرتين متتاليتين حين حاولوا انتهاز الفرصة بموت خاقان التركستان الشرقية «يعقوب خان».

احتلوا المدن الشمالية بعد حروب عنيفة، ثم المدن الجنوبية؛ وتم لهم الاستيلاء على «كاشغر» العاصمة سنة (١٢٩٥هـ).

وبذلك استولت الصين على تركستان الشرقية وهي إمارة (إيلي)، ثم أهداها الروس إلى حليفتهم الصين (عام ١٨٨١م)! !

وبذلك تم استيلاء الصين على تركستان الشرقية كلّها.

***

(١) لنا عودة إلى الحديث عن تركستان الشرقية، والمسماه اليوم بإقليم «سيكيانغ» في الصين.

تحت الحكم القيصري

جاء في كتاب (الخطر الإسلامي على الدولة السوفيتية) لمؤلفيه:

(الكسندر بنيجست) و(ماري بروكسوب)،استعراض شامل للوقائع والأحداث التاريخية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، لدولة «التركستان» شرقيها وغربيها وما عانته بعد وقوعها فريسة لأطماع الروس.

يقول الكتاب:

[اعتبرت روسيا ثغر أوربا الشرقي، كما كانت إسبانيا (الأندلس) ثغر أوربا الغربي أي: دولة المواجهة مع المسلمين، والتي تحمي أوربا من الخطر الإسلامي .

والتاريخ الروسي يقوم على مقولة تزعم أن روسيا أنهكت نفسها في كفاح بطولي ضد المسلمين دار عدة قرون، ولكنه لم يذهب هباءً، فقد أنقذ هذا الكفاح أوربا التي استطاعت بفضل الحماية الروسية أن تمضي في تطوير حضارتها الرائعة، ولكن الثمن كان

فادحاً، لأن روسيا تقهر برابرة آسيا!!!

كان عليها أن تهبط لمستواهم وتتبنى أساليبهم. مثل الحكم الاستبدادي، والأساليب الهمجية، وفقدان الحرية؛ هذه هي الصورة التي تقدم في الأدب الروسي....، روسيا هي الفارس الذي قتل التنين الأسيوي، وأنقذ (الأميرة أوروبا)؛ ومن ثم فِللفارس حق السيادة على الأوربيين الصغار، وامتياز تحضير الآسيويين الروس المتوحشين، مقابل الدور الذي لعبه في قهر المسلمين...

لكن الحقيقة مخالفة لهذا الزعم تماماً، فعندما التقى الروس بالمسلمين في القرن التاسع، كانوا هم المتخلفين وكان المسلمون في قمة الرقي والحضارة]⁻[، هـ..

وبعد، فكيف كانت حياة المسلمين المقهورين في التركستان تحت النير القيصري. تقول الدراسات الاستقرائية لحياة المسلمين في «التركستان» منذ الغزو القيصري إلى بداية الثورة البلشفية أن القياصرة الروس كانوا يهدفون إلى التخلص النهائي من المسلمين بإتباع الأساليب التالية:

(أ)- **الإبادة** بالطرد الجماعي، وهي سياسة قاسية ولكنها فعالة، وقد استخدمت مع قبائل الشركس،-القربية، ومسلمي «أبخاذيان»، وجزئيا مع تتار القرم الذين أجبروا على الهجرة إلى الدولة العثمانية عام (١٨٦٥م)، الأمر الذي فتح البلاد على مصراعيها للمستوطنين الروس و«الجورجيين».

(ب)- **الإبادة** بالقتل الجماعي، مثل المذابح التي قام بها الجنرال «سكوبولوف» ضد التركمان عام (١٨٨١م).

(ج)- **الإبادة** عن طريق الزيول، أو الانقراض، بعزل الشعب الإسلامي عن الخارج وتركه يفني بالتخلف، وقد استخدمت هذه السياسة مع تتار (القولجا) خلال القرن السادس عشر، ومع (باشكير) جنوب (الأورال) في القرن السابع عشر، وفي القرم في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وفي شمال غرب (القوقاز) في أواخر القرن التاسع عشر، وأخيراً مع (كاراك)السهوب في أواخر التاسع عشر والعشرين.

(د)- **الابتلاع** من خلال عمليات التنصير للمذهب «الأرثوذكسي»، ولكن بدون الترويس لغوياً وثقافياً، وهي سياسة

نجحت جداً مع تتار (الفولجا) في القرن السادس عشر، ثم مرة أخرى في القرن التاسع عشر؛ ونفس السياسة طبقت مع (الكازاك) في مطلع القرن العشرين لكنها فشلت فشلاً ذريعاً.

(هـ)- **التذويب** من خلال اعتناق المسيحية والترويس ، باللغة والثقافة، وقد استخدمت مع تتار (الفولچا) قبل عام (١٧٨٣م) وأتت بنتائجمتناقضة.

(و)- سياسة عدم التدخل!!! وجاءت بنتائج طيبة في «آذربيجان» في القرن التاسع عشر .

(ز)- **العزل** وعدم التدخل في حياة الجماهير؛ وقد نجحت هذه السياسة بعض الشيءفي (كابزدا)و(أوستيا)، وأثمرت نتائج لفترة في «كازاخستان» .

(ح) سياسة المشاركة الحقيقية، السياسية والاقتصادية، والتي استخدمت بنجاح باهر أيام (كاترين) الثانية مع تتار (الفولچا)؛ وأيام (الكسندر) الثاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في سهوب (الكازاك).

إلى هذا الحد مـن القهر والاستبـداد والإفناء وصل الأمر بالطغيان القيصري على مسلمي «التركستان» دون وازع من خلق أودين، أو ذرة من إنسانية، متناسين الحقبة الزمنية الطويلة، التي تتجاوز القرون، والتي حكم فيها المسلمون البلاد، بالرحمة والمودة، وسيطروا فيها على معظم أنحاء روسيا، حتى إن «موسكو» نفسها كانت مشيخة إسلامية.

فقد جاء في كتاب (الخطر الإسلامي على الدولة السوفياتية) قول مؤلفيه:

[وقد مرت علاقات المسلمين بالروس مراحل متعددة، بدأت بخضوع الروس للسيادة الإسلامية، خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، فكانت الغلبة للمسلمين، أما نبلاء الروس فكانوا مجرد ولاة يحكمون تحت سيطرة المسلمين، وكانت موسكو تسمى «مشيخة الموسكوف»، وحكامهايدفعون الجزية للقبائل الذهبية أو خانات][1].

١- نحن نسلم بمبدأ المساواة الإسلامية على البلاد، لأنه واقع تاريخي، ولكننا لا نسلم بمقولة الخضوع!! لأن منها معنى القهر والإذلال، وهذا لم يحدث أبداً خلال أي فتح إسلامي لأي=

ويضيف المؤلفون – في الحديث عن الانقلاب الذي حصل، وتبدل حال من سيطرة إسلامية إلى سيطرة، روسية– فيقولون:

[إذا كان الروس لم ينجحوا في استئصال المسلمين كما فعل الإسبان فقد حطموا كيانهم وهبطوا بهم إلى مجرد أقلية داخل إطار الروسيا، واستخدمت في ذلك أبشع الوسائل، فقد دمرت الطبقة الحاكمة بالاجراءات الاقتصادية، أو بإجبارها على التحول إلى المسيحية، وأجبرت الجماهير على الذوبان الثقافي، وقد أدى ذلك إلى عدة ثورات انتهت بالقمع والجلاء الجماعي للتتار، وقد خلق ذلك كراهية متأصلة موروثة مازالت تعيش عبر أربعة قرون] .

مابين سنة ١٧٣٨م إلى سنة ١٧٥٥م اختفى ٤١٨ مسجداً من مجموع ٥٣٦، كانت في منطقة «قازان»– وحدها؛ وصودرت الأوقاف، ونشطت الكنيسة في تنصير المسلمين، بينما كانت عقوبة الإعدام هي جزاء من يعتنق الإسلام، أو يدعو له.

= بلد، كان الناس أحراراً في معتقدهم وأحوالهم الشخصية (لا إكراه في الدين) وكذلك مفهوم (الجزية) فإنه على غير مفهومها الحقيقي لدى الكثيرين، لأن (الجزية) التي يدفعها (الزمّي) هي مقابلة (الزكاة) التي يدفعها المسلم.

ويقارن المؤرخون بين عهد القياصرة، وأسوأ حملات «ستالين» في الثلاثينات وأقاموا أكاديمية مسيحية في «قازان» .

ويقدر المؤلفان أنه مابين سنة ١٨٦٥و ١٩٠٠ (أي خلال خمسة وثلاثين عاماً) اعتنق أكثر من مائة ألف تتري المسيحية].

[وفي ١٧٧١م ثمّ احتلال الروس شبه جزيرة القرم، وفي سنة ١٧٧٤ انتزعت رسمياً من الدولة العثمانية وضمت إلى الامبراطورية الروسية][1].

[وفي سنة ١٧٨٢ نفي آخر «خان» للتتار، وهو «شاهين جبراي»

[وفي سنة ١٧٨٣ بدأ ضم شمال «القوقاز»، ولكن الروس قوبلوا بمقاومة شديدة من المسلمين تحت قيادة مشايخ الطريقة «النقشبندية»- حتى أن هذه المنطقة الصغيرة- نسبياً - استمرت في المقاومة زهاء قرن من الزمان، وأخيراً في عام (١٨٦٥م) استسلم آخر قائد « نقشبندي»- هو الإمام «شامل»].

* * *

١- حرب القرم اشترك فيها الجيش المصري، على عهد الوالي «عباس» الأول بعد هذا التاريخ يقرب من قرن من الزمان.

من نير القياصرة إلى مقصلة الشيوعيين

على الرغم من كل ماشهدته الديار التركستانية الإسلامية من قهر وإذلال وإبادة، وعلى الرغم من الضعف المتناهي لدى المسلمين، والمتزايد ارتكاماً بمرور الزمن، إلا أنهم كانوا يثورون من فترة إلى أخرى في وجه الطغيان القيصري...

حتى كان عام ١٩١٧م..

فقد ثاروا ثورة عارمة توافقت زمنياً مع الثورة البلشفية (الاشتراكية)، واستطاعت الشعوب الإسلامية في «التركستان» إعلان استقلالها وإنشاء ديمقراطية. كما استطاع «لينين» قائد الثورة الاشتراكية إلى انتزاع السلطة من أيدي القياصرة (آل رومانوف) والقضاء عليهم.

وإلى هنا كانت الأمور في البلاد عامة تسير سيرها الطبيعي ، في التخلص من الظلم وتقرير المصير، واسترداد الحرية المسلوبة .

إلا أن «لينين» الذي جلس على عرش «آل رومانوف» أراد أن

يمثل دور الثعلب لإعادة المناطق الإسلامية «التركستان» التي رزحت تحت عبء النير القيصري إلى حظيرة الحكم الشيوعي، أو مقصلته التي هي، أشد فتكاً..!!

فوجه الطاغية المحتال نداء، يظهر فيه تأييده للثورة التي نشبت في البلدان الإسلامية ضد الاستعمار القيصري؛ وكان الهدف من هذا النداء:

١- **أولاً**: دفع خوف الشعوب الإسلامية في حكومة روسيا الجديدة، حتى تنضم إلى التكتل الذي ينادي به «أنور باشا» وزير الحربية العثمانية، والذي يحذر فيه من الخطر الشيوعي.

٢- **ثانياً**: بعث الطمأنينة إلى القلوب الإسلامية، بأن الحكومة البلشفية الروسية ليس لها مطمع استعماري في أي قطر من أقطارها؛ فيظلوا متفرقين، وبهذا يسهل عليه احتلال بلادهم قطراً بعد قطر.

٣- **ثالثاً**: أن لا يهرب الأغنياء أموالهم وثرواتهم إلى الخارج.

٤- رابعاً الاستعانة بثروات البلاد، ومعونة أهلها المادية له، ولثورته.

***

وكان النداء موقّعاً من قطبي الثورة: «لينين» و«ستالين»، مؤرخا في الخامس عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩١٧م؛ يقول النداء:

[أيها المسلمون: أديانكم وعاداتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة عن كل اعتداء، نظموا حياتكم القومية تنظيماً يستند إلى أسس الحرية والاستقلال وهذا من حقكم الشرعي.

إعتقدوا أن (البلاشفة) إنما يدافعون عنكم، وعن حقوق الشعوب التي تعيش في روسيا كلها.

اعملوا على الانقلاب، جندوا الثورة، وساعدوا حكومة (البلاشفة).

أيها الرفاق؛ إننا برفع علمنا هذا إنما نعلن للشعوب المستعبدة في روسيا شعار الحرية والاستقلال.

أيها المسلمون، نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية.

لينين ستالين

لم يجد «لينين» أذناً صاغية لندائه فأوعز إلى الجاليات الروسية في

البلاد الإسلامية ومقاطعاتها بنشر المبادىء الشيوعية، والإشاعات الكاذبة، للدّس والافتراء ونشر البلبلة.

وفي الوقت نفسه أعاد الشبان المسلمين الذين كانوا يتعلمون في المدن الروسية إلى بلادهم بعد أن لقنوا مباديء الثورة البلشفية، وأغروهم بالمناصب، لإحداث انقلاب شيوعي في بلادهم، فيتمكن هو من إعادة هذه البلاد مرةً ثانية إلى الاستعمار الروسي تحت غطاء الثورة التحريرية.

وكان في البلدان الإسلامية– أواخر الحكم القيصري– نزعتان إحداهما: تدعو إلى التجديد والتطوير، يتزعمها الشبان المتأثرون بالأفكار الأوربية، وأخرى محافظة تدعو إلى الإبقاء على القديم، يتزعمها الشيوخ والمتدينون..

ولقد كانت الحكومة القيصرية تشجع كلا الفريقين، كي يظل المسلمون منقسمين.

وبعد الثورة البلشفية تولدت من بين هاتين النزعتين المتصارعتين نزعة ثالثة تدعو إلى الاعتدال والتوفيق بين الاتجاهين.

ولقد أنشد هذا الاتجاه قصيدة قال في مطلعها :

جديـــدي ياقديمي   ياقديمي دوُب أوروشيـم
كـــورق ســوزتلا   شيــب لا بوغـوشــــم

أي :

لا تتجـــادلوا بالجـ   ـديد ولا بالقــــــديم
دعـــوا عنكم مهار   شـة الكـــــلاب...

ومن ثم انتهزت حكومة «لينين» الشيوعية هذه النزعات وأرادت استغلالها لمصلحتها فأوحت إلى عملائها في البلدان الإسلامية بالاندماج مع دعاة التقدم والتجديد والسعي لإيقاد نار الفتنة بين الفريقين..، لكنهم فشلوا في هدفهم أو تحقيق غايتهم، لأن دعاة التقدم والتجديد كانوا يهدفون إلى بلوغ مآربهم بالطرق السلمية، متأثرين بالأسلوب الديمقراطي، لا الثوري ولا الدموي.

***

الحقد الطبقي

بعد أن فشل عملاء «موسكو» في إيقاد نار الحرب الأهلية بين شعوب البلاد الإسلامية، المجددين والمحافظين، ولّوا وجههم شطر ناحيةٍ أخطر وأشد فتكاً، هي: الحقد الطبيقي.

فأخذوا يبذرون بذور الحقد والكراهية بين العمال وأرباب العمل، وبين الفلاحين وأصحاب الأرض حتى بين الأجراء والمستخدمين وبين ذويهم، وراحوا يوهمون العمال والفلاحين والأجراء بأنهم من دعاة التقدم ودفع الغبن والظلم الاجتماعي عن كواهل الكادحين، حرصاً على إنسانيتهم وبشريتهم.

وأنشأوا تشكيلات بأسماء مختلفة، تمدّها «موسكو» بالأموال الطائلة التي ورثتها عز امبراطورية روسيا القيصرية، ليشتروا بها الأنصار ويتمكّنوا من إقامة حكومات شيوعية تقوم على أكتاف العمال الفلاحين والأجراء.

فانخدع بعض الناس أوّل الأمر..، لكنهم ثاروا على عملاء

«موسكو» حينما طلبُوا منهم تأييد الثورة ضد النظمِ الإسلامية السائرة السائدة، خصوصاً وأن العدل الاجتماعي كان متحققا من خلالها، ولم تعرف ديارهم نظام الإقطاع الذي عرفته روسيا القيصرية، ثم عمَّمته من بعدُ على أكثر المقاطعات، حتى الإسلامية، والذي كان سبباً من أسباب الثورة على الطغيان القيصري.

* * *

الخداع ... والمكر ... والتنكُّر

أما تصرفات حكومة «لينين» الشيوعية مع الدول الإسلامية المستقلة فقد اتسمت بالخداع والمكر، ثم التنكُّر..

اعترفت حكومة «لينين الشيوعية» رسمياً باستقلال حكومة «خوفند» و«بخارى» في التركستان «القوقاز»، وعقدت مع بعضها معاهدات عدم اعتداء- (جمهورية بخارى)..

وفي عام ١٩١٨م أخذت حكومة «لينين» بالتدخّل في الشؤون الداخلية للبلدان الإسلامية، متجاهلةً استقلالها.

وعندما رفضت هذا الدول تدخل الحكومة «اللينينية» في شؤونها الداخلية، صممت حكومة «موسكو» على الاستيلاء على هذه الدُّول وإعادتها إلى الحظيرة.، ولو بالقوة..، ولو أُدى ذلك إلى إراقة الدماء.

كانت الجيوش الروسيَّة (الشيوعية) مدرّبة أحسن تدريب، ومجهزة بأحدث الأسلحة، والطائرت والدبابات، والعربات المصفحة، والمدافع البعيدة المدى..، وغيرها؛ بينما كانت وسائل

الدفاع الإسلامية بدائية- بكل مافي الكلمة من معنى-؛ وكانت الجيوش الروسية تتكون من الجنود الروس الأصليين، والأوكرانيين، وأسرى الألمان المرتزقة .

وفي شهر أبريل (نيسان) من عام ١٩١٨م أصدر «لينين» أمراً بالزحف على البلدان الإسلامية، دون تمييز، ودون سابق إنذار، فأخذت الدبابات تحصد المدن حَصْداً، لافرق بين عسكريين أو مدنيين، تدكُّ القلاع والحصون، وتهدم البيوت والمنازل على رؤوس أصحابها.

وكان أوّل مابديء به جمهورية «إيديل أورال» وشمال «القوقاز» وشبه جزيرة القرْم، وجمهورية «خوقند» في تركستان، ونقلُوا من الأخيرة (٤٦) مليون جنيه ذهباً.

ومع نهاية العام (١٩١٨م) كانت الحكومة «اللينينية» قد انتهت من احتلال هذه البلاد المذكورة- عدا شبه جزيرة القرْم-.

وفي سنة (١٩١٩م) احتلت الجمهورية «ألاشي أوردو» في «أورنبوروغ »؛ وفي أوائل عام (١٩٢٠م) انتهت من احتلال القرم؛

وفي ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ شنت على جمهورية «آذربيجان» في القوقاز هجوماً مفاجئاً، وبعد احتلالها زحفت على جمهورية «خبوه» في التركستان، الواقعة شرقي جمهورية «آذربيجان» في ثلاث جهات، وتم احتلالها مع نهاية عام (١٩٢٠م).

وفي سنة (١٩٢١م، هجم الروس الشيوعيون) على جمهورية «بخارى» المجاورة لدولة «أفغانستان» من عدة جهات، وانتهت المعارك باستشهاد القائد «أنور باشا»— ٥ أغسطس (آب، ١٩٢٢، وانسحاب رئيس جمهوريتها «عثمان خوجه»؛ واستمرت حرب العصابات في التركستان من سنة ١٩١٨؛ دون تحقيق أي نجاح، فاستسلمت للواقع.

* * * *

التّقسيم الإداري الجديد
والتغيير «الديمُوغْرافي»

أوّل ماهَدَف إليه الحكم الشيُّوعي هو تمزيق أواصر «التركستان» وتفتيتها بتقطيع الجمهورية الواحدة...، ثم تغيير معالمها الديموغرافية بتطعيم السكان بعناصر غريبة عرقية وعنصرية.

وكان أوّل مابدأوا به جمهورية «إيديل أورال»؛ وهي نفسها التي بدأ بها القياصرة من قبل، بسبب موقعها وحيويتها وأهميتها.

تقع هذه الجمهورية بين «ايديل»– نهر الفولجا – وبين جبال «الأورال» وتحتل موقعاً في مفترق طرق المواصلات بين شمال شرق أوربا والعالم الإسلامي، كما كانت معْقلاً سياسياً وحصناً منيعاً للدفاع عن بقية البلدان الإسلامية في «التركستان».

وأعطى الغزو الشيوعي لهذه الجمهورية منفذاً على بحر قزوين، وجبال «الأورال»، فجهزوا من هناك حملاتهم إلى «سيبريا (الإسلامية) و «القوقاز» و «القرْم» تنفيذاً لخططهم بالوصول إلى

البحار الدافئة.

وعندما سقطت قازان «العاصمة»[1]، كان القتل نصيب أهلها، وتركت المدينة نفسها أكواماً من الرماد والخراب.

ولقد قسم الروس (الشيوعيون) هذه الجمهورية إلى أجْزاء على أساس التفرقة القبليَّة، منها «تترستان» و«باشقورنستان»؛ وبذلك جعل الروس من هذه الجمهورية الموحّدة هدفاً لإسكان المهاجرين الروس، وألحق ٦٠ بالمائة من مساحة أراضيها إلى الأراضي الروسية، ثم ضمت بعد الحرب العالمية الثانية إلى جمهورية (روسيا الحمراء).

لكن الأساليب القهرية لصبغ السكان بالصّبغة الروسية المحض فشلت، كما فشلت سياسة التشريد الجماعي والمذابح، في قتل الروح المعنوية وشَلّ الحركة الوطنية، بل علي العكس من ذلك كان المسلمون من سكان جمهورية «إيديل أورال» يسيرون دائماً في طليعة المجاهدين في كل الانتفاضات ضدّ الظلم والطغيان.

١- اشتهرت «قازان» أنها أول من استعمل الطباعة بالحروف العربية لطبع الكتب الدينية، وأنها كانت تمد جميع البلدان الإسلامية في «تركستان» بهذه الكتب، وفي غير التركستان أيضاً.

وبعد جمهورية «ايديل أورال» جمهورية شمال «القوقاز».

يحد هذه الجمهورية من الشرق بحر قزوين (الخزر)، ومن الغرب البحر الأسود، ومن الشمال خط «مانيتش» وجنوباً سلسلة جبال «القوقاز».

فبعد أن انتهكت الحكومة الشيوعية حرية واستقلال هذه الجمهورية، وأخذت في تفتيت وحدتها الإقليمية، ثم عملت على إلحاق الإدارة الوطنية بحكومة موسكو مباشرةً.

وقسمت إلى عدة مقاطعات على أساس التفريق القبلي؛ كما حطمت وحدة اللغة بإحياء اللهجات القبلية، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، كما نظمت حرباً قوية ضد الدين الإسلامي، ونهبت ثروات البلاد، وخصصت أهم المناطق فيها لسكنى المهاجرين الروس الذين أسندت إليهم إدارة المؤسسات الصناعية، والمرافق العامة، والسكك الحديدية، وقيادة السفن، ومنشآت الطيران، ومراقبة المناجم، والانتاج الزراعي.

ولقد كافأت «موسكو» مسلمي شمال القوقاز، الذين قاتلوا في

صفوف الجيش الأحمر، في الحرب العالمية الثانية بالإبادة والتشريد؛ فقد صدر في فبراير (شباط) سنة (١٩٤٤م) قرار رسمي بإبعاد قبائل «الفرجاي» و«البلكار» و«الشيشان» و«الأنجوش»، وإلغاء جمهورياتها؛ وكان عدد المبعدين من قبائل «الفرجاي» و«البلكار» (٣٠٠,٠٠٠) نسمة، ومن «الشيشان» و«الأنجوش» (٨٠٠,٠٠٠) نسمة؛ كما أبعدوا أيضاً القوقازيين الذين يسكنون شبه جزيرة «تامان»، ومكان منطقة «قيزليار» - في شمال القوقاز؛ و(٢٥٠,٠٠٠) نسمة من قبائل «القلماق» الذين يعيشون في منطقة السهول بين ضفاف نهر «الفولجا» الجنوبية، وبين حدود «داغستان» الشمالية.

ومن ثم إلى «آذربيجان»..

وعاصمتها مدينة «باكو»،

تشمل الجزء الشرقي في جنوب القوقاز والشمال الغربي..، ولقد تم احتلالها في السابع والعشرين (٢٧) من شهر أبريل (نيسان) سنة (١٩٢٠م).

وحينما دخل الجنود الشيوعيون «آذربيجان» أباحت لهم موسكو

النهب والسلب والسرقة والقتل (سياسة البلد المباح)، حتى أفقرت البلاد، ثم احضرت الجنود من روسيا واقتطعت لهم أجود الأراضي وأخصبها، حتى لم يبق أمام مسلمي «آذربيجان» غير سبيلين اثنين: الموت فقراً ومرضاً أو الانضمام إلى الهيئات «القولخوزية» -المستعمرات-، فاختاروا الثاني انتظاراً لقضاء الله تعالى.

وأصبح أهالي «آذربيجان» جنوداً في معسكرات العمل، حيث يأتي أسيادهم الروس مع كل صباح ممتطين خيولهم فيطرقون أبوابهم بشدة وعنف ليستعدوا للذهاب إلى أماكن العمل (السخرة)، حيث يسوقهم الروس كما تساق الماشية.

القرم الشهيدة

تقع شبه جزيرة القرم الخضراء- ضحية الشيوعية- على شاطيء البحر الأسود، على بعد (٣٠٠) ميل من الشاطيء التركي الشمالي، ويحيطها غرباً وجنوباً البحر الأسود، وشرقاً مضيق «كرش» وبحر آروف الذي يفصل بينها وبين «القوقاز»، وتتصل شمالاً بالبلاد «الأوكرانية»، وتبلغ مساحتها «٢٧٠٠٠» كلم[٢].

ولقد تمكن شعب القرم المسلم من استرداد حريته في ثورة سنة ١٩١٧م؛ وانعقد مؤتمر القرم الوطني الذي كان قوامه منتخبون، وفق النظم الديمقراطية، وقام بوضع دستور البلاد.

إلا أن عهد الحرية والاستقلال لم يدم طويلاً، ولم يعمر..، بسبب هجوم روسيا الشيوعية.

وبعد أن تم الاستيلاء على القرم عام (١٩٢٠م) أخذ الروس يطبقون سياسة الهدم، والتهجير والتشريد الجماعي لمسلمي القرم التي كان عدد سكانها في ذلك الحين يقارب الخمسة ملايين نسمة (٥,٠٠٠,٠٠٠).

ونتيجة للمعارك الدموية والضغط السياسي والحصار الاقتصادي أجبر مسلمو القرم على الهجرة بغرض إيواء اليهود بدلاً منهم؛ ولم يبق من سكان البلاد بعد عام (١٩٤٠م)، سوى (٤٠٠,٠٠٠) مسلم.

ولقد هدمت المساجد والمدارس وحول بعضها إلى كنائس، ولم يبق من (١٥٥٨) مسجداً إلا (٧٠٠) حولت من بعد إلى دورٍ للّهو، أو مقاه، أو دور للسينما والمسرح، أو مستودعات للذخائر، أو الدور

الحزبية، أو اصطبلات للخيول...، أو متاحف!!!

تقرير «لينين» عن عدد ضحايا الجوع في القرم.

نشرت جريدة «ازفتسيا» في عددها الصادر يوم ١٥ يوليو (تموز) (١٩٩٢م)، تقرير «لينين»– الذي زار القرم حيث قال:

[بلغ في يناير (كانون الثاني) عدد الذين أصابتهم محنة الجوع (٣٠٢,٠٠٠) مات منهم (١٤,٤١٣) شخصاً، وأما في شهر مارس (آذار) فارتفع عددهم إلى (٣٧٩,٠٠)، شخصاً، مات منهم (١٩,٩٠٢)، وبلغ في شهر أبريل (نيسان) (٣٧٧,٠٠٠) شخصاً، مات منهم (١٢,٧٥٤)، وفي شهر يونية (حزيران) بلغ (٣٩٢,٠٧٢)شخصاً].

ولقد جاء في أقواله أن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها، أو يبدو عجيباً في بابه!!!

ونفذ مافي أيدي المسلمين من أهل القرم من النقود والحلي والجواهر التي كانوا يشترون بها الأقوات، والتي فرضتها عليهم السلطات الشيوعية بديلاً عن الغذاء..، عندئذ بدأ فريق منهم

بالهجرة إلى بلاد أخرى ومناطق جديدة، أما الذين عجزوا عن الهجرة فقد تفرقوا في أنحاء شبه الجزيرة بحثاً عما يسد رمقهم ورمق عيالهم..، حتى الحشائش والعشب، وإذا لم يعثروا على هذا ولا ذاك تساقطوا صرعى...

وتقول بعض الروايات أن المجاعة وصلت إلى حد أن بعض النساء كن يقتُلْنَ أطفالهن ويأكلن لحومهم، ثم يجمعون العظام في ركن يكينها[1].

وشهد شاهد:

صدر في ديسمبر (كانون الأول) عام (١٩٤٣)، قرار عن مجلس السوفيات الأعلى، ينص على مايلي:

١- جمهورية «شيشان أنجوش» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد سكانها (٨٠٠,٠٠٠) نسمة.

٢- جمهورية «قرة- شاي بالقار» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد سكانها (٣٥٠,٠٠٠) نسمة.

---

(١) كتاب (كارثة القرم)- ولي شاه-.

٣- جمهورية القرم المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد سكانها(٤٠٠,٠٠٠)نسمة.

هذه الجمهوريات يجب محوها لتعاونها مع العدو.

وإن سكان هذه الجمهوريات من النساء والرجال والشيوخ والأطفال سيطردون من بلادهم إلى المناطق الشمالية من روسيا (النفي إلى سيبريا)[١].

وأصبح هذا القرار ساري المفعول في الثالث والعشرين (٢٣) فبراير (شباط) (١٩٤٤م)؛ وأذيع على العالم في الخامس والعشرين (٢٥) يونيه (حزيران) (١٩٤٦م).

[وكان الهدف من ذلك- كما يقول مؤلفا كتاب (الحظر الإسلامي على الدولة السوفياتية)- هو الحل النهائي لمشكلة شمال القوقاز، وخاصةً إذا عرفنا أنه حتى الجنود والضباط المسلمون في الجيش الأحمر، بل حتى أعضاء الحزب الشيوعي من مسلمي هذه المناطق قد تم ترحيلهم بالقوة.

ولكن بعد موت «ستالين» تمت تبرئتهم من تهمة الخيانة، وسيسمح

---

(١) ذلك من مآثر حكم «ستالين»!!!

لـهم بـالعــــودة إلى وطـنهـم بمرور (٩/ ١/ ١٩٥٧)؛ وهذا يـرجع لصــلابتــهم].

[ففي الدراسات السوڤياتيـة أن «الشيشن» هم أكثر المسلمين تديناً، وقد اعترف الخبراء السوڤيت أن هذه الروح قد ازدادت يقيناً وصلابة بالتهجير، فقد أصبـح الإسلام هو الهوية لشعب مهـدد بالفناء، منتزع من أرضه وجذوره].

[وثبـات «الشيـشن» على دينهم يرجع الفـضل فـيـه إلى طريقـتين صوفيـتين وهما: «النقشـبندية» و«القادرية»، اللتان سيطرتا علـى الحياة الدينية في شـمال القوقاز منـذ أواخر القرن الثامن عـشر، وقد ألهمـتا وقادتـا كل المقاومـات الكبرى ضـد الغزو الروسي، ابتـداءً من جهـاد الإمام «منصور» – وهو شيخ «نقشبندي» – في عام (١٧٨٣م) إلى آخر انتفاضة ضد الحكم السوفيتي عام (١٩٤١ – ١٩٤٢م).

وتعتـرف المصادر السـوفياتيـة أن محاولة إبـادة الإسلام عن طريق إغلاق المساجد[1] وحظر اسـتـخـدامهـا قـد أدى إلى انتـشـار الطرق

---

(١) يقدر بعض المراقبين والمطلعين أنه تم إغلاق (٩٠,٠٠٠) مسجد في جميع أنحاء الإتحاد السوفيتي (نور محمـد خان) كتاب (القـصة الحقيـقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي والصيني).

الصوفية السرية التي تمارس الصلاة وتشرح الدين سراً، مما جعل الناس أكثر تديناً في أي وقتٍ مضى..، وهكذا أصبحت الطرق الصوفية أكثر خطراً على السلطة السوفيتية من الإسلام التقليدي!!، واضطر الروس إلى العدول عن سياستهم فسمحوا بفتح مسجدين في جمهورية «شيشان- أنجوش» في عام (١٩٧٨م) وخمسة أخرى في عام(١٩٨٠م)[(١)].

وإلى نفس المعنى والحدث تشير مجلة (تايم) الأمريكية فتقول:

[في سنة ١٩٢٨ بدأ تدمير المساجد، واستمر التدمير حتى الحرب العالمية الثانية. ولا تتوافر نسخة من المصحف في كل مسجد، وإذا وجدت نسخة فهي تعامل كالآثار تحفظ في خزانة خاصة لها مفتاح يبقى في عهدة المشرف ولا تفتح إلا لكبار الزوار.

وفي خلال خمسة وثلاثين سنة طبع القرآن (الكريم) ست مرات، وأكبرها عشرة آلاف نسخة.

معظم القرى بلا مساجد ولا شيوخ ولذلك قام إسلام سري، وإلا

---

(١) أي منذ مدة قريبة.

استحال عليهم الزواج وإقامة الشعائر الإسلامية- مثل صلاة الجنازة-، ولأن الحكومة كانت وماتزال تطارد الإسلام السري].

ويضيف مؤلفا كتاب (الحظر الإسلامي...) :

[وفي عام ١٩٨٥م نشرت الصحف عن ضبط حركة طبع كتب إسلامية سرية، وفي عام ١٩٧٨م اعتقل عدد كبير من العلماء (الكاجيك) بتهمة طبع كتب دينية وحكم عليهم بالسجن مدداً تتراوح مابين سنتين وعشر سنوات سجناً.

وألقى القبض على امرأة عمرها (٤٥) سنة، اعتقلت هي ووالدها لأنهما يبيعان كتباً إسلامية، وقالت الصحف إنهما عضوان في شبكة واسعة].

[قبل الحكم الشيوعي كان يحج حوالي ٣٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠) مسلم من روسيا؛ ولكن في عام (١٩٣٠م) منع «ستالين» الحج، وفي عام (١٩٤٥م) سمحوا بحج عشرين شخصاً، معظمهم من الموظفين العملاء، مثل مفتي «طشقند»[١]، الذي خلعته الجماهير، فقد حج أربع

(١) اسمه: «ضياء الدين باباخانوف» زار لبنان في السبعينات بدعوة من المفتي المرحوم الشيخ «حسن خالد».

عشرة مرة!؟].

على هذا النمط من الاستعمار الشيوعي لـ(تركستان) كانت الحياة في الاتحاد السوفيتي، الذي يضم خمس عشرة جمهورية، من بينها ست جمهوريات إسلامية، أفقدها الروس هويتها، وحارب انتماءَها، وحاول انتزاع العقيدة قسراً من قلوب وصدور أهلها.

***

الجمهوريات الإسلامية

في العدد الخاص الذي نشرته مجلة (أرامكو) (يناير - فبراير) (كانون الثاني - شباط) عام (١٩٩٠م) يتحدث عن هذه الجمهوريات فيقول:

[ست جمهوريات من الخمس عشرة التي تكون الاتحاد السوفياتي هي جمهوريات إسلامية، فيها أكبر جمهورية بعد جمهورية الروسيا. المسلمون (٥٣) مليوناً، أي خمس مجموع سكان الاتحاد السوفياتي، وهم يشكلون أكبر كتلة (بشرية) بعد الروس؛ ويسكنون هلالاً يمتد من أوربا إلى الصين جنوب الاتحاد السوفياتي.

«تركستان» نصف أوربا، من بحر قزوين في الغرب إلى الصين في الشرق، ومن الجنوب «أفغانستان» و«إيران»، ومن الشمال «روسيا».

خمس جمهوريات في وسط آسيا، وهم أحفاد المغول الذين حكموا وسط آسيا وأقاموا المدن التاريخية في «بخارى» و«سمرقند»].

أولاً: «آذربيجان»:

تبلغ مساحة «آذربيجان» (٨٦٨٣٥) كلم٢

تعداد سُكانها سبعة ملاين نسمة، يتوزعون كالآتي- من حيث النسبة-:

٧٨٪ آذربيجان؛ ٨,٠٪ أرمن؛ ٨٪ روس.

وترجع أصول سكانها المسلمين إلى الأتراك السلاجقة، وقد تحولوا من مذهب أهل السنة إلى مذهب الجعفري (الشيعي) عندما تسلط «الصَّفويُّون» على «إيران»؛ ولكنهم في مذهبيتهم ليسوا متعصبين، فقد كانوا- فيما مضى - يتلقون الفقه وأصول الدين، على أيدي علمائهم الذين يأتون إلى المعاهد السنية في «بخارى» و«طشقند» وغيرهما، ودون تفريق أو تمييز، كما تغُصُّ مساجدهم أيام الجمع بالمصلين.

وتضاريس «آذربيجان» خلابة ساحرة، تتحدث بعض الأساطير القديمة عنها بأنها جنة عدن المفقودة .

كما أن ثروتها الهائلة- على مختلف مصادرها- تحدثت عنها

وثائق «أثرية» يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة.

زراعتها تضم القمح والخضروات والحمضيات (الموالح). والشاي والأرز والأعناب والفواكه. وهي واحداة من أشهر مناطق العالم في إنتاج النفط.

عاصمتها مدينة «باكو» خامس مدن الاتحاد السوفياتي- سابقاً-.

«آذربيجان» وإقليم «ناغورنو كاراباخ»؛ بين الحقيقة والتضليل الإعلامي:

لعل الصراع الدائر الآن بين «آذربيجان» و«أرمينيا» حول إقليم «ناغورنو كاراباخ» هو الذي حرك القلب والعقل والحس، ليلقي الضوء على بؤرة ساخنة من بؤر الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض، ويدفع القلم إلى الكتابة وجلاء الحقيقة، واستثارة أمة الإسلام كي تعي مايدبر لها ومايحاك حولها.

فمع ظهور «بروستريكا» - «جورباتشوف»، ونجاح الثورة في «إيران» والتدخل السوفياتي في «أفغانستان»، وانعكاس آثار هذا الغزو داخل الاتحاد السوفياتي، تكونت في «آذربيجان»- الجبهة الشعبية-،

ومن ثم نظمت المسيرات تطالب بالمزيد من الحريات والاعتراف بالحق المشروع في الحفاظ على الدين والهوية وحرية التعامل مع بني جنسهم في «إيران»؛

وكان ذلك بداية الشرارة التي أشعلت النار في الهشيم

بل الضوء الساطع على كل المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفياتي – السابق ، والأحرى أن نقول : «تركستان».

جاء في مقالٍ لمجلة (تايم، ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠م، بقلم «بروس فيلان»: [«ناخيشفان»[1] إقليم يجاور «إيران»، وله استقلال ذاتي، يسكنه «الأذربيجانيون»، ولكنه مفصول عن بقية الجمهوريات الآذربيجانية بشريط من الأرض الأرمنية!!! انتظم أهله في شريط بشرى على طول الحدود الإيرانية، ودعوا إلى وحدة القسمين الروسي والإيراني.

وبعد أسبوعين أرسلت «الجبهة الشعبية» إنذاراً إلى قوات المخابرات

---

١ – هو إقليم يوازي «ناغورنو كاراباخ» من حيث الزرع «الستاليني» ولعبة التغيير «الديموغراطي» بهدف تقطيع الأوصال والتمزيق والتشتيت.

الروسية التي تحرس الحدود - تقول فيه-:

- إذا لم تزيلوا الحواجز والأسوار فإن الجبهة ستمزقها في (٣١) ديسمبر (كانون الأول).

وقد قام رجال: (ك - ج - ب) ببعض التنازلات، ففتحت بعض نقاط الحدود لعبور رجال الأعمال راغبي زيارة المقابر (العتبات المقدسة).

لكن التهديد نفذ، وأجبر رئيس الحزب في «ناكيشيڤان» على الاستقالة.

ولكن الأهالي لم يكتفوا بهذا التنازل، بل جمعوا الفؤوس ومقصات قطع الإسلاك الشائكة، واتجهوا إلى حيث طلبوا إزالة الحدود التي تفصلهم عن (الآذربيجانيين)- الذين يعيشون في إيران؛ وفي آخر يوم من السنة (١٩٨٩م) ضربوا ضربتهم. وتجمع حوالي (٧٥٠٠) ومزقوا وأزالوا علامات الحدود، وأبراج الحراسة، ونقط التفتيش، وانتشرت هجمات مماثلة على طول خمسمائة ميل من الحدود شلّت الاتصالات، في سلسلة مدن من «زنجلين» إلى إقليم

«لنورات» على بحر «قزوين».

وفي مدينة «جليل أباد» استولت الجماهير على مقر قيادة الحزب الشيوعي ومركز البوليس. وتجمع الآلاف من «الآذربيجانيين على شواطىء نهر «آراكس»- الحدود الطبيعية بين إيران والاتحاد السوفياتي ، ودعوا إخوانهم الإيرانيين للزحف من أجل توحيد وطنهم].

هذه الحركة الدينية الوطنية المتنامية في «آذربيجان» كان لابد من مواجهتها من قبل «جورباتشوف»- المنتسب للحضارة المسيحية الأوربية-، بدافع من الحقد الصليبي المتصل في أعماق الذات، القائل:

(نحن أوربيون، لقد كانت المسيحية توحد روسيا القديمة مع أوربا، وسوف نحتفل في العام القادم (١٩٨٨م) بمرور ألف عام على دخول المسيحية أرض أسلافنا؛ وتاريخ روسيا هو جزء عضوي من التاريخ الأوربي العظيم)[١].

١- البيروستوريكا) (ص: ٢٣٠).

فلجأ إلى تِعلَّةِ إقليم «ناغورنو كاراباخ»- الذي زرعه «ستالين» في «آذربيجان»، متناسياً الشريط الأرمني.. من جهة ثانية، وأمية الشيوعية من جهة ثالثة..

إذا كان تبادل الأرض والسكان- بسبب عنصريتهم وعرقيتهم- جائزا ومعمولاً به، فإن من حق (الآذربيجانيين) سكان «أرمنيا» أن يقتطعوا الأرض التي يعيشون فوقها ويضمونها إلى جمهورية «آذربيجان»!!!

مذبحة «باكو»!!!

اتهم «غورباتشوف» الحركة الدينية الوطنية في «آذربيجان» بالتعصب الطائفي، وأخذ التضليل الإعلامي مداه، ومنعت السلطات السوفياتية الصحافة الأجنبية من الدخول إلى «آذربيجان»، وأذاعت أنباء المذابح المزعومة ضد الأرمن (٨٪ من سكان آذربيجان).

ثم زحف الجيش السوفياتي.. بقوته إلى «آذربيجان»، دبابات ومصفحات، ومدافع، وقاذفات وصواريخ... وو .. إلخ.

عندئذ أعلنت «آذربيجان» استقلالها وطالبت العالم بالاعتراف

بها، وناشدت ضميره النائم بالتدخل.

ووقفت المواجهة، ودخل الجيش الزاحف إلى «باكو» العاصمة، وتمت المذبحة التي راح ضحيتها الآلاف من الناس الأبرياء.

وقام «الآذربيجانيون» المجاهدون بالتصدي للحملة وعلى رأسهم شيخ الإسلام (مفتي آذربيجان) [الله شكور زاده].

يقول المفتي في رسالة وجهها إلى «غورباتشوف»:

[إن هدفكم الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين، ورصاصاتك قتلت آخر الآمال في «البرستورويكا».

طالما دعونا إلى تحكيم العقل، وإلى حلّ مشاكلنا مع جارتنا «أرمنيا» بالسلام والديمقراطية، حقنا لدماء مواطنينا المسلمين ودماء أخواننا المسيحيين في أرمنيا، ولكن من بيدهم الأمر في موسكو لم يستمعوا لنا، بل صعدوا الحملة فأعلنوا حالة الطوارىء، ثم اقتحمت قوات الجيش الأحمر بلادنا، وارتكبت مذبحتها الفظيعة ضد مواطنينا، فكان ماكان، وبدا الأمر وكأنه حملة مسيحية ضد المسلمين.

انني أرفض بصراحة ماأعلنه «غورباتشوف» حين أشار ذات يوم قريب- قبيل وقوع الأحداث الأخيرة- إلي وجود ماأسماه بالعامل الإسلامي في النزاع حول «ناغورنو كاراباخ»

إنني أنفي نفياً قاطعاً وجود هذا العامل الذي تحدث عنه «غورباتشوف»، وأذكر مرة أخرى أنه ليس لدى القيادة في موسكو أي تصور سليم عن الأوضاع في بلادنا، وإن الإجراء الذي اتخذته هذه القيادة، والذي استباحت به دماءنا هو إجراء خاطيء متسرع، ولم تكن له أي ضرورة.

أما الأعلام التي يرفعها أهلنا والتي تحمل النجمة والهلال، فإنهم يعرفون إن هذا هو علم «آذربيجان» قبل التسلط السوفياتي.

وأنا أتساءل لماذا يسمحون للأرمن ولجمهوريات البلطيق برفع أعلامهم قبل التسلط السوفياتي ويعترضون فقط على «الآذربيجانيين» حين يفعلون الشيء نفسه؟؟

وأتساءل أيضاً: لماذا ذهب السيد «غورباتشوف» إلى «ليتوانيا» ليطلع بنفسه على الأوضاع فيها، وكان مرناً للغاية مع مواطنيها، الذي قابلوه بالمظاهرات والهتافات المعادية، على حين لم يصنع معنا نفس

الشيء، ولكنه اكتفى بإيفاد مندوبين عنه، نصحوه بالتدخل العسكري، فاستمع لهم، دون تمحيص أو تحقيق.

إنني كعالم دين لم يعد باستطاعتي السيطرة على مشاعر الناس الذين استولى عليهم الغضب والاستياء بعد أن سالت دماء أهاليهم وذويهم في الشوارع أنهاراً، وبعد أن سحقتهم الدبابات والرشاشات الروسية][1].

ثم انفرط عقد الاتحاد السوفياتي – غير مأسوفٍ عليه –، وتناثرت حباته...

تَقَزَّم «غورباتشوف»، وانقلبت «البروسترويكا» عليه، وكما يقولون: انقلب السحر على الساحر.

لكن معزوفة إقليم «ناغورنو كاراباخ» ماتزال تتفاعل، لأن الحقد النفسي عند الأرمن واضطرام الحقد الصليبي على الإسلام وأهله ماضٍ بمؤثراته وبواعثه وغاياته؛ ونسأل الله تعالى اللطف والهداية والعون.

---

١ – نص الرسالة كاملة «نشرتها جريدة «الأخبار».

ثانياً: قاذاخستان، أو (كازاكستان)[1].

مساحتها مليونان وسبعمائة وخمسة عشر ألف (كلم٢) «٢٧١٥٠٠٠» كلم٢.

حدودها: تمتد من بحر قزوين غرباً إلى الحدود مع الصين شرقاً.

و«كازاك» أو«كازاخ» تعني في اللغة التركية: الرجل الذي لا سيد له.

كان أهلها أوّل الثائرين على روسيا القيصرية في مطلع القرن العشرين، عام (١٩١٦)م.

فرضت عليهم السلطات السوفياتية نظام المزارع التعاونية مع بداية الثورة عام (١٩١٧م)؛ فهرب أكثرهم إلى الصين.

يقطنها اليوم حوالي (١٦,٦٠٠,٠٠)– ستة عشر مليوناً وستمائة ألف نسمة، يتوزعون كالآتي: ٤١٪ من الروس و٣٦٪ من الكازاك و٦٪ أوكرانيا و٢٪ من التتار.

١– تكتب قازاخستان وتلفظ كازاكستان.

عاصمتها: مدينة (آلما– آتا).

وقـد شهدت العـاصمـة مظاهرات صاخبـة عام (١٩٨٦م) قادها تنظيم وطني محلي يطلق على نفسـه إسم (عدالـت)– يعني: العدالة. وهو من الألفاظ العربية التي دخلت على المعجم اللغوي التركي.

بالإضافة إلى (جمعية حماية البيئة).

هذه التـحـركـات كـانت تهـدف إلى وقـف التـجـارب النووية السوڤيـاتية التي اتخذت من أرض الجمـهورية ميداناً لها؛ وقـد نجحوا في مسعاهم.

والجدير بالذكر أن تنظيم «عدالت» قد قـام في آواخر الخمسينات ومطلع الستينات بهـدف إعادة الاعتبار للضحـايا الذين قضى عليهم الحكم (الستاليني) الدموي وقد قصمهم بالخيانة والتآمر مع العدو.

وتعـتبـر جـمـهورية «قـازاخستـان» أوّل جـمـهـورية في الإتحـاد السـوڤـيـاتي الـتي اجـتـاحـتـهـا الاضطرابات بعـد «بـيـروسـتـريكا» «غورباتشوف».

***

ثالثاً: «أوزباكستان».

موقعها: من بحر «آرال» في الشمال إلى «أفغانستان» في الجنوب..

جنوبها «فرغانة» و«ظفرشان».

مساحتها: «٤٤٩٦٠٠» كلم٢.

وتعداد سكانها تسعة عشر مليوناً وتسعمائة ألف نسمة (١٩,٩٠٠,٠٠٠).

ويتوزعون حسب أعراقهم وعناصرهم كالتالي:

٦٩٪ أوزبك، و١١٪ من الروس، و٤٪ كازاك، ٤٪ طاجيك.

عاصمتها: مدينة «طشقند»، يقطنها حوالي مليونان وثلاثة وسبعون ألف نسمة(٢,٠٧٣,٠٠٠).

ويكفينا ذكر اسم «طشقند» العاصمة لندرك مركز الثقل الحضاري التاريخي الذي مثلته هذه البلاد عبر قرون اتسمت بالعطاء على

مختلف الصعد، والمجد الذي سطرته في سفر التاريخ.

تنتج «أوزباكستان» ثلثي إنتاج الاتحاد السوفياتي - السابق - من القطن (٦٧٪) ونصف إنتاج الأرز.

وكما هو الحال في «قازاخستان» ومنظمة «عدالت»، وكذلك الحال في «أوزباكستان» ومنظمة «الوحدة» التي قادت تحركها، وكان من أهم مطالبها: استرجاع وحماية اللغة والثقافة القومية، وضمان الحرية الدينية، وحماية البيئة، وانهاء الوضع الاستغلالي الاستعماري الذي كان قد جعل من «أوزباكستان» مزرعة قطن!!!

* * *

رابعاً: تركمانستان

وهو الإسم الأصلي لعموم الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي - السابق -. تبلغ **مساحتها** أربع مائة وثمانية وثمانين ألف (كلم٢)(٤٨٨,٠٠).

وتتصل **حدودها** مع «إيران» و«أفغانستان».

ويبلغ تعداد سكانها ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة (٣,٥٠٠,٠٠٠).

يتوزعون عرقياً وعنصرياً كالتالي:

٦٨٪ تركمان، ١٢٪ من الروس، و٩٪ من الأوزبك. ٣٪ من الكازاك.

عاصمتها «أشخاباد» (عشق أباد).

تقع في أرضها صحراء «كره كورم» الشهيرة، وتعني باللغة التركية: (الرمل الأسود).

***

خامساً : جمهورية «قيرغيزيا».

مساحة أراضيها مائة وثمانية وتسعون ألف وخمسمائة (كلم٢) (١٩٨,٥٠٠).

موقعها: تقع «قيرغيزيا» على الحدود بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين.

وعدد سكانها: أربعة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة (٤,٣٠٠,٠٠٠).

عاصمتها: مدينة «فرونزي».

يتوزع سُكانها حسْب أعراقهم وعناصرهم كالتالي:

٤٨٪ قيرغيز، و٢٦٪ من الروس.

ولقد فر عدد يبلغ ثلث السكان- من القيرغيز- إلى الصين عام (١٩١٦م)، بعد فشل ثورتهم ضد الاحتلال الروسي.

***

سادساً: طاجيكستان»

- أو سقف العالم، كما يحلو للبعض أن يسميها، وهي تسمية يفخر بها أهلها، وذلك لعلو جبالها.

مساحتها تقدر بمائة وثلاثة وأربعين ألف ومائة (كلم٢).

هي أصغر جمهوريات آسيا الوسطى.

تحدها الصين من الشرق وأفغانستان من الجنوب.

أما **تعدد سكانها** فيبلغ خمسة ملايين ومائة ألف نسمة (٥,١٠٠,٠٠٠).

تتوزع نسبتهم كالتالي:

٥٩٪ طاجاك، و٢٣٪ أوزبك. و١٠٪ من الروس.

لغة أهل الجمهوريات هي الفارسية.

ولقد كان اعتناقهم للإسلام متقدماً، وذلك قبل ألف ومائتي سنة؛ أي في مطلع القرن الثالث الهجري.

معظم إنتاج البلاد من القطن والأرز.

وحزب (النهضة) هو التنظيم السياسي والديني الذي يقود التيار الوطني.

تظاهروا وأعلنوا غضبتهم في وجه السلطة السوفياتية (الغورباتشيفية) عندما أشيع عن وصول اللاجئين الأرمن إلي بلادهم.

ولقد طالب المتظاهرون في العاصمة (دوشانبي) بإعلان الإسلام الدين الرسمي للجمهورية، وإعادة الأبجدية العربية للغة الكتابة.

فأرسل المصلح!! «غورباتشوف» سبعة آلاف جندي روسي لقمع الحركة والوطنية في «طاجيكستان».

هل لاحظت معي - عزيزي القاريء، المسلم الغيور على دينه وأمته- عند الحديث عن نسبة توزيع السكان في الجمهورية الآنفة الذكر نسبة الروس فيهم؟!!

إنها سياسة خبيثة، كانت تقوم بها السلطة (القيصرية والشيوعية على حد سواء) بغرس الطابور الخامس من العملاء بين ظهراني المسلمين؛ والأهداف مرسومة معلومة.

ومن الملاحظ أيضاً لمن يتتبع واقع حياة المسلمين في هذه الجمهوريات- التي كانت مغلوباً على أمرها- أنها كانت تدار كمستعمرات..، منذ الغزو الروسي إلي نهاية العهد الشيوعي.

كانت أخصب الأراضي وأجودها تنتزع من أصحابها وتعطى للنبلاء الروس!!! ثم للفلاحين الاشتراكيين من بعد؛- بشرط أن يكونوا من الروس طبعاً.

لقد صرح مواطن تركماني- يعمل بيولوچيا- لصحيفة أجنبية- فقال:

- نحن لا نناقش الانفصال في جمهوريتنا (كان ذلك قبل سقوط الاتحاد السوفيتي) ولا توجد مشاكل عنصرية..، مشكلتنا هي أن روسيا (يقصد جمهورية روسيا) تجعلنا ننتج قطناً أكثر فأكثر، وليس لدينا مكان لتربية الماشية!!!

وقال مسؤول في الحزب الشيوعي الكازاخستاني:

- إن تجارب الأسلحة الذرية كانت تجرى في جمهوريتنا بدون استشارة الشعب ولذا فهناك تناقض بين الجمهورية والمركز.

وهناك أيضا مأساة بحر (آوراك) الذي يموت، إن إنتاج الصوف والفحم والمعادن والقمح وأسعارها يحددها المركز على حساب خسارة الجمهورية.

إن كازاخستان يجب أن تقرر بنفسها قضاياها الثقافية والاقتصادية مع ترك مسؤولية الدفاع عن الحدود وخطوط السكك الحديدة للمركز.

حتى العضو الشيوعي المتفاني في حزبيته وانتمائه، قد استيقظ ضميره وحسه الوطني- إلى حدٍ ما- على معاناة البلد والوطن، واستغلال الحزب!!!

هل بعد هذه الشهادة من شهادة؟؟

***

الخاتمة

أخي المسلم:

في أي وقت كنت، وإلى أي بلد انتميت، وعلى أي مستوى من المسؤولية أنت، من الأدنى إلى الأعلى..

تذكر أن لك موقفاً بين أيدي الله تعالى تسأل فيه.

وهاهي الأمثولة بين يديك وأمام عينيك، حية سافرة، لقد مرت على «التركستان» دهور وعهود وتقلبات، وتنقلت عبر التاريخ، وأبت في النهاية إلاّ أن تعود إلى أصالتها، عقيدة وسلوكاً، ومنهج حياة.

ولكنها جوعى وعطشى، بعد طول مسغبة وظمأ.

جوعى إلى كتاب الله وسنة رسوله «ﷺ»، وعطشى إلى التلاقي والتآخي.

فلنتداركها وقد تحررت من الدب الروسي، سواء تزيّا بزيّ القيصر، أو لبس مسوح «ماركس» و«لينين»...

لنتداركها قبل فوات الأوان، وقبل أن تعصف بها عاصفة النظام العالمي الجديد فتجعلها لُعبة الأمم.

وما البؤرة الساخنة في إقليم «ناغورنو كاراباخ» إلا مؤشر، قد يفتعل مثله في أية جمهورية من الست، وتحت أي شعار ودعوى.

لا أقترح منهجاً أو سلوكاً معيناً، فلست أملك ذلك، بل ليس من حقي، وأهل الاختصاص والمسؤولية به أولى، ولكني أستنهض الهمم وأدعو إلى المبادرة.

ولقد لفت نظري تسارع «إيران» من جهة، وتركيا من جهة ثانية، إلى «آذربيجان»، كل يخطب ودها، «إيران» من ناحية الإنتماء المذهبي، و«تركيا» من ناحية الإنتماء العرقي،

وهذا، بدلاً من الاحتضان الفعلي للأمة ككل..!

عيب..!!فهل أدرك كل طرف، بل كل مسؤول وكل جهة..، وكل عالم..، معنى ومغزى الحديث النبوي الشريف: [من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم].

فالاهتمام ليس مناورة، ولا تجاذب مصالح، ولا قضماً

ولاهضماً..!! بل تحسسا وتعاوناً ونصيحة.

هل لاحظتم التطور الدرامي الذي ينتقل بـ«البوسنة والهرسك» إلى أسوأ الأحوال..؟

إن المجموعة الأوربية لم تنس على الإطلاق «محمد الفاتح»– رحمه الله –، ومن قبله «موسي بن نصير» و«طارق بن زياد» و«عبد الرحمن الغافقي»..

لن تنسى هؤلاء أبداً،

ولن تنسى معهم سلطان الإسلام، «فالحقد الصليبي» يملأ قلبها، ولن تترك لدولة مسلمة وجوداً في قلب القارة الأوربية.

أما أمريكا– الولايات المتحدة– فهي الشاهد الزور الأكبر على كل لصوص العالم، ومن ثم تدعى الأمانة.

وهي قاصمة ظهر الحريات، وحقوق الشعوب...، ثم تتمسح نفاقاً بتمثال الحرية على أعتاب «نيويورك».

تماماً مثل البغي التي تدعى الشرف؟!!

وصدق فيها المثل: رمتني بدائها وانسلّت.

أيها المسلمون:

أفيقوا واستيقظوا.. ولا تدعوا الصحوة، وكفى هراء.

أدركوا أخوانكم في «آذربيجان» و«قيرغيزيا» و«طاجكستان» و«كازاخستان» و«تركمانستان» و«أوزباكستان»، قبل أن يفوت الأوان.

ألا قد بلغت ، اللهم فأشهد.

وإلى القاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثبت المراجع

١- كتاب (القصة الحقيقة لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي والصيني)

نور محمد خان.

٢- كتاب (كارثة القرم)

ولي شاه.

٣- (الخطر الإسلامي على الدولة السوفياتية)

الكسندر بنجيسن ماري بروكسوب

٤- المسلمون والروس يقررون مصير العالم.


محمد جلال كشك

٥- الصحافة المحلية والأجنبية.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة



قرش جنية
٣,٥٠

[هذا الكتاب]

* عرض تاريخي لحياة المسلمين في (تركستان) منذ دخول الإسلام في القرن الثالث الهجري إلى يومنا هذا.

* حقائق وأرقام ووثائق وشهادات.

* لا فرق بين قيصرية وشيوعية في الحقد على الإسلام وأهله.

* جهاد (التركمان) في نشر الإسلام.

* (تركستان) رافد عظيم من روافد الحضارة الإسلامية عبر التاريخ.

* المعاناة المعاصرة.

* نداء يجب أن يسمع.

* الإسلام عميق الجذور في قلوب الناس، ليس من السهل اقتلاعه.

* هذا بلاغ للناس: حكاماً ومحكومين.

* بين اليقظة الحقيقية والصحوة الخادعة.